وزارة الأوقاف
مكتب
وكيل الوزارة لشئون الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

حرية التعبير واحترام الآراء .

— ١ —

الحمد لله رب العالمين .. وصلاة وسلاما على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وصحابته والتابعين والعاملين باحسان الى يوم الدين ... وبعد

فأشكر الاخ الفاضل الكريم الذى تفضل بتقديمى اليكم والترحيب بى باسم جامعة جريجوريانا الكاثوليكية البابوية . وسعيد جد السعادة بهذا اللقاء الذى نجتمع فيه لنقول مايمكن ان نقترب به ومايصور الحقيقة ، واذا كان لى فى بداية كلمتى من أن احدد هدفى ومنهجى فأننى اقول :

أولا — إن ماأتحدث به اليوم ليس حوارا وانما لقاء وحديث فى ذلك اللقاء .

ثانيا — ان لكل عقيدة مبادئها واسسها ولن نناقش شيئا من ذلك فذلك موضعه ساحات أخرى .

ثالثا — اننا نريد أن نبين الجوانب المضيئة والمشعة التى يمكن أن تقول للانسان أيا كان ذلك الانسان أن هنا خيرا وهنا انسانية ثم نترك لذلك الانسان بعد ذلك أن يتأمل ذلك الخير وأن يزن تلك الانسانية .

رابعا — هناك آية فى القرآن الكريم تقول " ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم " الآية ٣٤ من سورة فصلت (رقم ٤١) — اشارة الى وداعة الكلمة والى جميل الحديث وطيب الاسلوب الذى يجب ان يكون دائما هو اسلوب المؤمنين كائنا ماكان مذهب هؤلاء المؤمنين .

ان حديثى يمكن أن توجزه عبارة صغيرة انه عبارة عن تحية ... والتحية من طبيعتها الايجاز كما أن من طبيعتها كذلك أن تكون عميقة الدلالة مع ذلك الايجاز ولاسيما والوقت لايتسع حتى نبسط كل شئ وقد تغنى العبارة عن المقالة — وسأتناول سريعا كومضات منيرة عاجلة موقف الاسلام من العقل واحترام التفكير كقيمة انسانية ذلك لان الانسان دون تفكير ، ودون احترام لرأيه ، يصبح مهدد الكرامة ، ضائع الانسانية ، واذا ماأستطعنا أن نقول رأى الاسلام فى احترام العقل ، وتقدير التفكير ، كان معنى ذلك اننا نقول احترام الاسلام للانسان كقيمة فكرية وعقلية ، وسأتكلم كذلك عن اشارات الكلمة فى القرآن الكريم ، ذلك أن القرآن معجزة بلاغية ، وكلمته معجزة دالة ، وسنتناول العدل والحق باعتبارهما قيمة انسانية ، اذ لايمكن ان يصلح مجتمع أو أن تقوم جماعة الا على اساس من الحق والعدل ، ذلك اننا مادمنا قد أعلينا من شأن التفكير ، واحترمنا قدر العقل . فلابد اذن أن نحترم حصاد ذلك العقل الصحيح لأنه لاحيلة لنا فى العقول المريضة . إذن فالعدل والحق

قيمة انسانية كذلك ... ثم ناتى الى الرحمة وهى حاجة الانسانية اليوم ، ونقول هل الاسلام دعا الى الرحمة للمسلمين فقط ؟؟ أم أن رحمة الاسلام وسعت كل شئ ؟؟ وجاوزت الانسان حتى وصلت الى الحيوان وليس الانسان فحسب ، ثم ناتى الى كلمتنا الاخيرة وهى حرية الاختيار ، باعتبار ان الانسان دون اختيار لما يريد او لما يرفض قد انهى انسانيته او قضى عليها . كل هذه قيم وقمم لااستطيع ان اوفيها فى تلك المرحلة الزمنية التى اسعد بان اعيشها معكم ، ولكنى كما قلت ساقدمها ومضات ورموزا دالة وقد تكفى الاشارة عن العبارة وقد تكفى العبارة عن المقالة .

فى تقديرى اننا نحترم الحقيقة حين نضع النص أمامنا ثم نقف من وراء النص لانقدم انفسنا قبل النص . بل نقدم النص ليتكلم بنفسه ، ذلك لأننا ننقل عن الله جل وعلا فلابد أن يكون كلام الله أولا ثم يأتى تفسيرنا — لايسبق تفسيرنا النص — من هنا فاننا حين نأتى الى قضية العقل والتفكير والرأى نجد القرآن الكريم فى سورة سبأ رقم (٣٤) الآية ٢٤ التى تقول (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) يرسم أسلوب ومنهج تناول رأى وفكر الآخرين . من الذى يقال له ؟ محمد صلوات الله عليه وآله — وكأنه يأمره بأن يقول : مع أن الوحى ينزل على وتعلمون صدقه ، ولكن . يامن تعبدون الاوثان والاصنام . تعالوا آتونا حجتكم واسمعوا حجتى ، منتهى احترام العقل والرأى الآخر .

لا أحجر على نقاش ولا جدال لكم ، ولا أصادر فكركم ورأيكم ، وبهذا كان احترام وتقدير الاسلام لرأى الآخرين وفكرهم ، ان محمد بن أدريس الشافعى رضى الله عنه وهو من أئمة الفقه الاسلامى كانت له عبارة كريمة يقول فيها (رأيى صحيح يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصواب) ومعنى ذلك أن لدى حجتى ولديك حجتك فاعرض دليلك واسمع حجتى ولندع الحقيقة تفرض نفسها ويتأكد ذلك الاتجاه بقول الله تعالى فى سورة البقرة (رقم ٢) الآية ١٤٨ (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا .)

فلنقف تحت ظلال الآية . انها تدعو الى أن نتسابق فكرا واتجاها شريطة أن يكون الهدف هو الخير والحق ، ومادمنا قد اتفقنا على أن نهدف الى الحق ، والى الكلمة العادلة ، والى الرأى المنصف ، فلنتسابق ولكل وجهته ، ولانحجر على رأى ولانحارب فكرا ، أى حرية فكرية وأى احترام للعقل وأى تقدير للفكر فوق هذا الذى تصرح به تلك الآية ؟

واذن فاحترام الرأى ، وتقدير الفكر باعتبارهما معابر حضارية ، وعلى اساسهما يتحقق التقدم العلمى ، والازدهار الحضارى . كل ذلك يشكل قيمة انسانية من القيم التى دعا اليها الاسلام ، مادامت اتخذت وجهتها ، وحثت خطاها الى حيث صالح البشرية وخير الشعوب .

وحقيقة فرعاية الاسلام للرأى والفكر موقف لايستغرب، اذا ماعلمنا ان الاسلام قد اعتبر ان العقل هو اساس تكريم الله سبحانه وتعالى للانسان ولنقرأ الآية ٧٠ من سورة الاسراء (رقم ١٧) والتى تقول (ولقد كرمنا بنى آدم ...) فالامام القرطبى رضى الله عنه ونحن نعرف انه من ائمة التفسير يقول : ان العقل كان سبب التكريم الذى خص الله به بنى آدم لانه عن طريق العقل يمكن للانسان ان يصل الى الكثير ويؤكد ماأخبر به الانبياء ويؤيد ماجاءوا به من تعاليم وآداب .

ولنتامل التعبير القرآنى الذى يقول (بنى آدم) اى ان التكريم انما كان للانسان كائنا ماكانت جنسيته ، كائنا ماكان موقعه الجغرافى ، وكائنا ماكان موضعه فى الخريطة الاجتماعية ، وتلك اشارة الى ان الاسلام فى انسانيته وخيره وتقديره وتكريمه للانسان فكره وعقله ، انما كان للناس جميعا ، وتلك قيمة انسانية من القيم التى وجه اليها الاسلام ودعا اليها .

انه لأمر يثير الاعجاب حقا حين نعلم ان الاسلام لم يكتف بان دعا الانسان الى التفكير ، وسمح له بحرية الرأى مادام سعيه العقلى فى مجال الهدف النبيل . نعم لم يكتف بذلك ، بل انتقد الانسان وكره له ان يعطل عقله ، وان يتجاهل استخدام ادوات المعرفة كالسمع والبصر فيقول فى الآية ٢٢ من سورة الانفال رقم (٨) ، (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون) فهو بذلك قد جعل ذلك الانسان الذى لايعقل ، ولايستخدم ادوات الادراك من شر الخليقة . ذلك يؤكد لنا رغبة الاسلام وحرصه على ان يكون الانسان ذا فكر صحيح ، وان يحترم معقولية نفسه ، وان يدرك ماحوله . ان الامام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه وهو من عظماء مفكرى الاسلام كان يقول — ان الاستسلام لرأى ما دون تفكير يضعف كمال الايمان فالله سبحانه وتعالى لم يرد لعبده ان يستسلم دون فكر وفهم .

ومن قضية الفكر الى قضية العدل يكون عبورنا منطقيا وطبيعيا ، ذلك اننا اذا آمنا بتقدير التفكير الحر والعقل الصحيح ، كان لزاما علينا ان نؤمن بالعدل باعتباره نتاج ذلك العقل

الصحيح ، اذ أنه لايمكن لعقل بمذا هو وضعه الصحيح أن يأتى باطلا من القول ، أو ظالما من الموقف ، أو يعادى عدلا ، أو يخاصم حقا .

من هنا فان القرآن يقول فى الآية ٨ من سورة المائدة (رقم ٥) (ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى مهما تكن الخصومة بينك وبين الآخرين شديدة فلا يمنعك ذلك من أن تعدل . ذلك لأن العدل فى حقيقته خضوع للفكر المستقيم ، وللرأى الناضج الصحيح ، واذن فالعدل قيمة إنسانية وهى ليست للمسلمين فقط ، بل هى للناس جميعا ، أصدقاء وأعداء ، مسلمين وغير مسلمين ، فالآية عامة وجامعة ، أى لتكن العدالة قيمة انسانية للبشرية كلها ، وذلك موقف الاسلام ورأيه بالنسبة الى العدالة والى الحق كقيمة انسانية للناس جميعا ، ثم أن — هذه العدالة تعرضت لها آية أخرى (٥٨) من سورة النساء رقم (٤) تقول (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وهذه الآية لها قصة لطيفة يحسن ذكرها ... لقد دخل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله الى مكة ، وفتح الكعبة ودخلها ، ولكن بنى شيبة الوثنيين فى ذلك الوقت رفضوا إعطاء المسلمين مفتاح الكعبة فطالب بعض المسلمين بأن يأخذوا المفتاح من بنى شيبة ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله رفض أن يأخذ المفتاح من الوثنيين ويعطيه الى المسلمين لأن المفتاح كان حقا لبنى شيبة وكان فخرا من مفاخرهم فأنزل الله سبحانه وتعالى تلك الآية التى تأمر المسلمين أن يحكموا بين الناس بالعدل ، دون ما اعتبار إلا للعدل ، سواء أكان صاحب الحق على دينك أو يعتقد دينا آخر ، وهذا هو محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله يرفض أن يأخذ المفتاح من الوثنيين ، خصومه وأعدائه ليعطيه الى المسلمين من أصحابه وأتباعه ، محققا بذلك العدالة ، وحافظا للناس حقوقهم وبذلك أوضح الاسلام موقفه من العدل ، كقيمة انسانية ، ليست لمسلم فقط ، وانما للانسان أيا كان موقعه الدينى أو القومى .

فالعدل كقيمة انسانية ليس لقرشى وليس لمسلم ، انما هو العدل للناس جميعا وتلك هى انسانية الاسلام ، ومطلب الشعوب ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

ان من قضايانا التى تتصل بحياتنا اليوم تؤثر فيها وتتأثر بها . قضية تبادل الرأى أو اللقاء الفكرى بينك وبين من يخالفك فى العقيدة ... ماهو الاسلوب الانسانى ؟ ماهى السمة الحضارية

التى يمكن أن ترتضيها لتكون صبغتنا فى هذا اللقاء وهذا التفاهم ؟ ان العالم كله ليس مسلما ، كما أن العالم كله كذلك ليس مسيحيا ، فهناك ديانات أخرى ، واذن فما هو الاسلوب الامثل لكى يتفاهم الناس فى لقائهم الفكرى ؟ أو تبادلهم العقلى والعلمى ، ان الآية القرآنية هى التى ستمدنا بذلك الاسلوب وتلك الصيغة التى نبحث عنها ، فلنضعها أمامنا كنص ولندعها تتكلم ، لأن النص حين يتحدث بنفسه يكون أقوى أثرا ، وأعمق تأثيرا ، وأقرب دلالة ، وكلام الله هو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الله سبحانه وتعالى يقول " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت رقم (٢٩) وفى هذه الآية موقفان ...

الموقف الاول : التعبير العربى الذى يكشف لك عن عملية القصر والحصر ، وهو أسلوب بلاغى خاص ، كأن الآية تقول : انه يجب الالتزام بأن يكون الجدل أو اللقاء الفكرى مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن مادام هناك احترام للحقائق ، أو عدم عدوان عليها ، واذن فقد رسمت الآية الاسلوب والمنهج

أما الموقف الثانى : فهو أمام قوله تعالى (الا بالتى هى أحسن) فان ذلك يعنى الأحسن كلمة وتعبيرًا ، والأفضل اسلوبا ومنهجا ، ومادام أحسن أسلوبا ومنهجا فلابد أن يكون ذلك هو الاسلوب المنصف والمنهج العادل الذى يجب أن يحكم كل تفاهم أو لقاء ، ونحن حين نضع بجوار تلك الآية الآية الاخرى ، رقم ١٤٨ من سورة البقرة رقم (٢) (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) — هاتان الآيتان تمنحان الانسان سلامة الطريق والهدف ، واحترام الجهد العقلى ، وتقدير السباق الفكرى ، مادامت الأهداف هى لخير الانسانية جمعاء ، ومادامت تلك الخيرات قد برئت من الأذى والعدوان والبغى .

ولعل الامام الليث الفقيه المصرى نظر الى تلك الآيات فكانت عبارته الدالة المشيرة والتى يقول فيها (تعلموا الحلم قبل العلم) وهو بهذا ينصح بأن يكون مع المادة العلمية خلق يحدد لنا نوعية الكلمة ، وطبيعة التعبير ، وأخلاقيات البحث ، وأحسب أننا بعد دراسة ماسبق من الآيتين القرآنيتين قد تأكد لنا الموقف الانسانى والحضارى للاسلام فى قضية التعامل واللقاء الفكرى .

ان هذا الموقف الذى يقفه الاسلام بالنسبة لأهل الكتاب ودعوته الى التفاهم الودود حين يكون الحق مقدرا ، والحقائق مسلما بها ، موقف ليس غريبا عن الاسلام . ذلك أن ود الاسلام

وزارة الأوقاف

مكتب

وكيل الوزارة لشئون الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

لاهل الكتاب ود قديم ، وما أريد الا أن نفهم أن الود الحقيقى هو ما أسس على حقائق . هذا الود قديم بين المسلمين والمسيحيين ولكن هناك أحداثا تاريخية لا نعيدها ولا نريد أن نذكرها ، وهى فى التاريخ مسطورة ، يأنف منها المثقف المسلم ، وكذلك لا يرضاها المثقف المسيحى وما أريد أن تكون تلك الأحداث هى التى نحكم بها على العقائد ، أو تدين بها الاديان وهى بريئة منها . لنضع أمامنا كما قلت لكم النص الدينى المجرد الذى نحكم به على الاسلام ، فما يجب أن نحكم على الاسلام بمقولة لاتتصل بالقرآن ولا بالسنة ، اننا نأخذ الاسلام من القرآن ومن رسولنا صلوات الله عليه وآله سنة وتقريرا وقولا وفعلا ، فاذا جاء انسان يقول . هذا هو الاسلام قلنا له ان ميزاننا هو القرآن والسنة فان طابق قولك ما جاء فى القرآن والسنة فذلك هو اسلامنا وان خالف فليس ذلك من الاسلام ، نقول ذلك لان الصداقة والود والتقدير بين المسيحية والاسلام قديم يبدأ من الدعوة الاسلامية ـ ان الرسول صلوات الله عليه وآله حين نزل عليه الوحى لأول مرة ، خشى واضطرب فذهب الى زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها وذلك أمر طبيعى يلجأ اليه الانسان فى داره ومنزله حين يفاجئه موقف غريب وعصيب ، انه يذهب الى زوجه وأبنائه يستفسرهم ويستشيرهم ، ذهب رسول الله صلوات الله عليه وآله الى السيدة خديجة فرأته ـ حالته متغيرة ـ فسألته السبب ، فقص عليها ما حدث من نزول الوحى وحديث الملك معه ، مما لم يكن له سابق علم به ، فأخذته السيدة خديجة رضى الله عنها الى ورقة بن نوفل ، وورقة بن نوفل هذا كانت له ثقافة مسيحية ، وكان له تقديره فى مجتمعه ، حينما سمع من محمد صلى الله عليه وسلم ما حدث سر وظهرت علامات البشارة واللطف والرفق على وجهه ، وقال للرسول صلوات الله عليه وآله وللسيدة خديجة رضى الله عنها ، هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى ليتنى كنت معك فأنصرك نصرا مؤزرا ، هذا موقف من شخصية لها ثقافتها المسيحية ، يؤيد به ويشد أزر الرسول المسلم ، وهو موقف نبيل وما يجب أن ننساه ثم نأتى الى هجرة المسلمين الى الحبشة ـ والحبشة كانت أرضا مسيحية ، وعلى رأسها النجاشى الملك المسيحى لقد أوسع ذلك الملك من صدره ومن بلده للمسلمين المطاردين ، وحين جاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ولم يستجب النجاشى ملك الحبشة فى ذلك الوقت الى الوفد الوثنى الذى جاء من مكة ليستعيد المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة هربا من العذاب والتعذيب فى مكة ، بل حماهم واصر على ايوائهم

ولقد كانت الروم المسيحية فى حرب مع فارس ، وهزمت فارس الروم المسيحية ، فحزن المسلمون فكان الوثنيون يعيرون المسلمين فى ذلك الوقت قائلين : لقد انهزم اصدقاؤكم ومن تحبون ، ذلك لان المسلمين فى ذلك الوقت كانوا يحبون أن تنتصر الروم المسيحية على اعتبار انهم أهل كتاب ، واقرب اليهم من عبدة النار اهل فارس ، ولنرجع الى تفسير ابن جرير الطبرى وهو من ائمة تفسير القرآن فأنه حين يعرض لتفسير قوله تعالى " الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهو من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء " . ينقل عن ابن عباس وابى سعيد الخدرى وعكرمة رضى الله عنهم أن المسلمين حزنوا وتألموا حين هزمت فارس الروم . وفرح المشركون من الوثنيين ، وعيروا المسلمين بهزيمة النصارى باعتبارهم أهل كتاب فأنزل الله تعالى (الم غلبت الروم .....) مبينا أن الروم ستنتصر بعد سنوات ، وحين تحقق ذلك فرح المسلمون بنصر الروم المسيحين على اعدائهم من عباد الاوثان والاصنام .

أى روح سمح ، واى تأييد مخلص ودود ذلك الذى نقرأ عنه ؟؟ اننا نرى ونحس ذلك الود حين يطلق القرآن على احدى سوره اسم معجزة من معجزات السيد المسيح عليه السلام ، هى سورة " المائدة " وحين يخصص سورة بأسم السيدة العذراء مريم عليها السلام هى سورة " مريم " وهو موقف لم يكن لغيرها فى القرآن فاذا قرأنا آية القرآن التى تقول فى شأن السيدة مريم (يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ... آل عمران : ٤٢) علمنا أى مكانة عظيمة رائعة سجلها القرآن للسيدة العذراء ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المسلمين بخؤولة لولد ابراهيم تنتهى الى مسيحى مصر الذى كان يوصى بهم .

كل ذلك مع ماسبق من مواقف يعطينا دلالته وأشارته ، ويهدينا الى اسلوب انسانى فى صلاتنا وحواراتنا ، وينمى اواصر المحبة والاخاء ، ويفتح قنوات من البر والخير بيننا فى عالم يحتاج الانسان فيه الى اخيه الانسان كائنا ما كان موقعه الدينى او الجنسى او الجغرافى ، أن ماسبق من مواقف

بسم الله الرحمن الرحيم

يمنحنا اشارة هادية الى أن الاسلام والمسيحية حين نتناول بوعى آثارهما الصحيحة ، فأنه يمكن ان يحققا تعاونا صادقا فى مجابهة اخطار تهدد القيم الانسانية والمثل الاخلاقية ، ولقد قلت اننا يجب أن نقدم النصوص الصحيحة ، ثم ندعها تخبر عن الحقيقة بنفسها فذلك ادعى الى الثقة والاطمئنان .

وهذا هو الامام الغزالى رضى الله عنه ، والذى له مكانته فى تاريخ الفكر الاسلامى والانسانى يقول أن من اخلاق المسلم رعاية الجار والمريض كائنا ماكان وضعه الخلقى والدينى ، وهو يستمد رأيه هذا من توجيه نبوى مشهور فى كتب السنه ، بشأن الجار ورعايته والمحتاج ومعونته والمريض ونجدته .

اليست هذه المعانى هى ماتحتاجه الانسانية اليوم ؟ اليست هذه الرحمه هى مايجب أن تكون ونحن نسمع اصوات الجياع والمرضى والمعوزين من ابناء شعوب العالم ، وخاصة فى افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية .

ومن هنا اقول أن فهمنا للاسلام بهذا الوعى ، وبتلك الروح الانسانية ، وبذلك المأخذ العادل المنصف منا جميعا ، سنتجه به الى لقاء هو لخير الانسانية التى يعانى ابناؤها ما يعانون الآن ، ان فهمنا هذا نحن المسلمين يلتقى مع المقولة الحكيمة للسيد المسيح له المجد وعليه السلام (ما جئت لأهلكهم ، انما جئت لأحييهم) .

بسم الله الرحمن الرحيم

كما يذكرا بن حزم أيضا فى كتابه (المحلى) ان الحارث بن رهيم كان من صحابة الرسول صلوات الله عليه وآله وكانت أمه نصرانية وحين ماتت الأم فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيعوا الجنازة وشاركوا وواسوا ذلك الرجل فى احزانه على أمه النصرانية .

ان تفسير كل ذلك يوضح أن هناك ساحات انسانية ملأتها عواطف بارة ، وأحاسيس حانية سمحت لكل انسان أن يعتنق ما يعتنق ، فلكم دينكم ولى دين ، وذلك بعد أن تبين الرشد من الغى لكل ذى عين وعقل ، لهذا حرص الاسلام على رعاية الجانب الانسانى ، وتأكيد كل ما من شأنه تقوية مشاعر الرحمة والرفق لتعيش مزدهرة فياضة فى حياة الانسان .

تروى كتب السنة أن الرسول صلوات الله عليه وآله كان جالسا مع بعض الصحابة فمرت جنازة فوقف لها رسول الله صلوات الله عليه وآله ، احتراما وتقديرا وقام الصحابة معه . فقال بعضهم يارسول الله انها جنازة يهودى فنظر اليه الرسول صلوات الله عليه وآله وقال : أوليست نفسا ؟

أى أليست هى جنازة انسان ؟ تستحق التقدير والاحترام رغم اختلاف العقيدة . وتلك هى انسانية الاسلام ، وهذا ما نريد أن يفهمه الناس عن الاسلام ، فالاسلام رعاية وتأييد للجانب الانسانى كائنا ماكان الموقع الدينى لذلك الانسان ، ومن هنا قلت ان انسانية الاسلام هى للكل وليست للمسلمين فحسب ، ان الخير الحقيقى لا جنسية له فى الاسلام ، فالخير خير فى أى مكان ، والطيب هو الطيب لكل انسان ومن كل انسان ، سواء عاش ذلك الانسان فى روما أو القاهرة أو دمشق ، وكذلك الشر هو الشر كائنا ماكانت أرضه التى أتى منها أو النفس الذى صدر عنها ، والاسلام لا ثنائية أبدا فى أخلاقياته حين يتكلم أو يدعو الى الرحمة ، فهو لا يريدها رحمة للمسلمين وحدهم ، انما يريد الرحمة للانسان وللانسانية جميعا ، ولنسمع الى واقعة تاريخية تصور موقفا اسلاميا أصيلا ، كان رسول الله صلوات الله عليه وآله فى مجلس فيه بعض صحابته ، فقال (لاتنزع الرحمة الا من شقى) فرد أحد الجالسين وقال : يارسول الله اننا لنرحم ابناءنا وأهلينا وذرياتنا . فقال صلى الله عليه وسلم (انما أريد الرحمة للكافة) أى انما أريد الرحمة للناس جميعا ، ليست الرحمة لقريب ولا لمواطن فحسب وتلك هى انسانية الاسلام التى هى للانسان كائنا ماكان موقعه الدينى أو القومى .

ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رحلته الى الشام شاهد قرية هامدة الحركة ، خامدة النشاط

بسم الله الرحمن الرحيم

فسأل عنها . فقالوا : يا أمير المؤمنين . أهلها من مجذومى النصارى لايستطيعون أن يخرجوا من بيوتهم ولا يتحركون الا قليلا لمرضهم ، فأمر عمر رضى الله عنه لكل مجذوم بخادم ونفقة من بيت مال المسلمين ، فعمر هنا لم ينظر الى أن هولاء المرضى مسلمين أو غير مسلمين ، انما نظر الى جانب حقهم على الدولة ، والحق الانسانى الذى يجب أن يكون لكل انسان كائنا ماكان ذلك الانسان ، وهكذا صنع عمر ايضا فى أثناء مروره بالمدينة حين وجد يهوديا يتسول قد أصابه الهرم والعجز .. فقال له . ولم لا تعمل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أصابنى الهرم والعجز ولا قوة لى على العمل فقال : اعطوا له من بيت المال ما يكفيه ، أكلنا شبيبته فلا نضيع شيخوخته .

تلك مواقف دعت اليها تعاليم الاسلام وتوجيهاته ، وهى مسئولية انسانية اسلامية .رضيها الاسلام لذلك الذى يعيش على أرضه مسلما كان أوغير مسلم ، وذلك لان الجانب الانسانى فى نظر الاسلام مايمكن أن يتغاضى عنه أو يغفل أمره . ان خالد بن الوليد القائد العسكرى المسلم دخل الى العراق وغالبية أهله مسيحيون فأعطاهم عهدا يشبه التأمين الاجتماعى الذى وصلت اليه الأمم الحديثة الآن .

أنه يقول لهم (ايما رجل من أهل الكتاب ضعف أو سقم أو مرض عيل هو وأولاده من بيت مال المسلمين) فهنا انسانية تتحدث عن نفسها وهى للكل، وليست لمسلم فحسب كما أنه لا دخل للعقيدة فى استحقاقها ، فذلك هو الاسلام الذى جاء ليقول للناس : ان الانسانية مايجب أن ننساها أو نغفل عنها ، انها أنفاس ، وبدونها لاحياة ، فلتكن من حق الانسان ، فهى دليل النسب الآدمى بين الانسان وأخيه ، وتلك هى انسانية الاسلام .

بقى الموقف الاخير الذى أريد أن أوضحه ، والذى أرجو أن أؤكد من جديد موقف الاسلام من حرية الاختيار ، ان لدينا آية ومعنا موقف تاريخى ، وكلاهما دال ومعبر ، ان الآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة تقول فى شأن اختيار الانسان لعقيدته (لا اكراه فى الدين) هذه الآية لها قصتها فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : انه أسلم ولكن ولدين له لم يعتنقا الاسلام ،

بسم الله الرحمن الرحيم

وسأل الرجل الرسول صلوات الله عليه وآله . هل يمكن له أن يجبرهما على اعتناق الاسلام ؟ ولكن الرسول رفض ونزل القرآن مؤيدا رأى الرسول فى قوله تعالى (لا اكراه فى الدين)

اما الموقف التاريخى الآخر فقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عبد (خادم) يسمى أسبق وكان مسيحيا ، فكان عمر دائما يداعبه ويقول له أسلم يا أسبق فيرفض أسبق ، ويكرر عمر العرض ويكرر اسبق الرفض ، ولم يستطع عمر أن يجبره على ترك عقيدته واعتناق الاسلام لأن عمر كان يقول لأسبق حين يرفض (لا اكراه فى الدين) وكأنه يقول له أنت لك الحق فى أن تقبل أو ترفض فذلك هو حكم الاسلام وصريح رأيه فى قرآنه . هذا الخادم أو العبد ظل على مسيحيته يعيش مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى استشهد عمر ولا ندرى تاريخيا أين ذهبت الأرض باسبق هذا .

والقرآن الذى قال (لااكراه فى الدين) هو الذى يقول فى الآية ٦ من سورة الكافرون رقم (١٠٩) (لكم دينكم ولى دين) وفى الآية ٢٢ من سورة الغاشية رقم (٨٨) (لست عليهم بمسيطر) .

اليس فى كل هذا دلالة على أن الاسلام يحترم انسانية الاختيار وتلك قيمة انسانية أخرى

اقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام جمعتهما آمال وآلام فكل منهما نفى وطورد ، وهاجر وأوذى ، وسال دمه ، وكانت له تضحيات ، وعاش حياة الفقر والبساطة ، وهى صفات مشتركة تجمع بين هاتين الشخصيتين ، ولقد جاءا كلاهما بالرحمة والسلام وبالعدل وبالاخوة ، هذا التوافق فى الآلام والآمال يدفع الصادقين المخلصين الى أن يقرؤوا من جديد بفهم ووعى ، وحكمة وصبر ، يقرؤون تراثهم الصحيح ، ذلك أننا بعد هذه القراءة ستكون الألفة أقوى ، والاخوة أوفى ، لنتناول ذلك التراث بسماحة خلقية ، فان آيات الكتب المنزلة من عند الله تعالى ليس فيها مطلقا مايفرق بين الانسان وأخيه ، وما يباعد بين أبناء الجنس البشرى ، أليست هى من مصدر الخير وجاءت للخير ؟ أليست هى من رب الانسان الذى يعيش على الأرض كائنا ماكانت أرضه وجاءت تلك الرسالات لخيره وسعادته ؟ علينا أن نحرص على أن تعيش بيننا وفينا تلك المواقف

بسم الله الرحمن الرحيم

الانسانية العظيمة التى عرضت رموزا متواضعة لها ، انها الروح الانسانية التى هى مطلب ونداء الانسانية اليوم ، لاأنسى وأنا فى نهاية كلمتى التى قلت أنها ليست محاضرة ، والتى قلت انها ليست حوارا ، لا أنسى أن أشيد مقدرا تلك الروح الخيرة النبيلة التى دفعت السلطات المسيحية الكاثوليكية الى دعوتى والى أن تتقبل أن يتحدث مسلم فى جامعتها بتلك الصراحة ، تقدير لا بد ان اسجله وأن اشكره أجزل الشكر وأوفاه ، وهى بداية ارجو باذن الله أن يتصل طريقها ، وأن تسير رحلتها الى وفاق ووئام يجب أن يكون بين الانسان وأخيه ، وأعتقد أن تلك البادرة ما يجب أن تنسى منا جميعا وخاصة هؤلاء الذين اهتموا بأن يكون بين المسيحيين رأى وفكر يقرب ما بينهما انسانيا وحضاريا ، تاركا كل منهما للجانب الآخر عقيدته وعبادته حتى يجمع الله بينهما وهو احكم الحاكمين ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

د. عبد العزيز كامل